كلمة الدكتور محمد عزيز شكري

في حفل استقباله في مجمع اللغة العربية

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية .

الأساتذة الزملاء المجمعيون

سيداتي وسادتي

اسمحوا لي بادئ ذي بدء أن أعبّر عن اعتزازي بالثقة الغالية التي أولاني إياها أعضاء مجمع اللغة العربية الموقر، حين تكرموا فاختاروني لأعمل معهم في خدمة أهداف هذا المجمع، الذي كانت عضويته إحدى أمانيّ العزيزة، ولأضع ما أملك من طاقة وإمكانات في خدمة وطني العربي، فيما تبقى لي من عمر ومن قدرة على العطاء. فشكرًا لهم وعهدًا أمام الله أن أظل أهلاً للثقة.

أطرق باب «مجمع الخالدين» اليوم، وفيّ رغبةٌ، ورهبة، وإيمان. رغبةُ التوّاق إلى الحصول على شرف الانتماء إلى هذه المؤسسة العلمية العظيمة، ورهبةُ المتهيّب من أعباء هذا الانتماء، وإيمانٌ بالله كبير أن أوفَّق في مسعاي.

وأشكر الزميل والأخ الأعز الأستاذ الدكتور موفق دعبول، على تقدمته الطيبة راجيًا أن أكون محلاً لها، كما أشكر من تجشم عناء حضور هذا الاحتفال.

أيها السيدات والسادة:

حديثي اليوم عن فيلسوف كبير من فلاسفة العرب المعاصرين، ومعلم أجيال وأجيال على مدى السنين، وواحد ممن حملوا هموم أمتهم العربية وآمالها طَوال عمره.

حديثي اليوم عن الراحل الكبير الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم، الذي شاءت الظروف ألا أعرفه شخصيًا قبل الثمانينيات، مع أني سمعت عنه وعن فضله منذ مطلع الستينيات حين التحقت بجامعة دمشق مدرسًا مبتدئًا في كلية الحقوق، وكان رحمه الله أستاذًا عملاقًا في قسم الفلسفة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية. وأذكر في هذا المقام أن الفضل في تعارفنا يعود إلى صديقنا المشترك، الأستاذ الدكتور كمال الغالي شفاه الله وعافاه واختار له الخير، ومنذ أصبحنا جيرانًا في أبنية أساتذة الجامعة بشارع الفارابي بالمزة مارسنا ما كنت أسميه ويضحك له راحلنا الغالي «التفكير بالأقدام»، إذ كنا نمشي ساعة كل يوم إلى أن غاب من غاب منا وقعد من فعد وتيتّم من تيتّم.

خسرت صحبة المفكر الفيلسوف الدكتور بديع الكسم، وافتقدت وأفتقد صحبة العروبي الكبير والعالم الجليل كمال غالي، ولم يبق لي حين تتيح لي الظروف أن أمارس «التفكير بالأقدام» إلا أن أذكرهما وأحن إلى أيام صحبتهما، وأتذكر كم تعلمت منهما؛ فقد كانا توأمين في الفكر والتوجه القومي، وكنت تلميذهما وأعتز بذلك. وما أحوج جيل هذه الأيام إلى أمثال بديع الكسم وكمال غالي مفكرين مبدعين وأخوين في الله والوطن، وزاهدين في مناصب السلطة ومباهجها.

حين هممت بالكتابة عن راحلنا الكبير الدكتور محمد بديع الكسم وجدت صعوبتين: أولاهما أنه فيلسوف لامع وما أنا إلا حقوقي متواضع نهلت من حيز ضيق في الفلسفة حين درست «فلسفة التشريع» قبل البدء بكتابة رسالتي لنيل الدكتوراه في علم القانون قبل أربعين عامًا، ولذا خشيت ومازلت أخشى ألا أفي راحلنا حقه حين أعرج على إسهاماته الكبيرة في الفلسفة.

حسبي أني أحاول.

وثانيتهما أن ما سأقوله في بديع الكسم سبقني إليه كثر، إن في حياته أو حين استقباله في مجمع اللغة العربية في ١٧ تشرين الأول من عام ١٩٩٠ أو في تأبينه في ١٣ تشرين الثاني عام ٢٠٠٠ أو في ما كتب عنه في حياته وبعد رحيله، وكلهم أكثر مني علمًا وأفضل عبارة وأشد قربًا إلى الأستاذ الجليل وتخصصه. وعزمت أمري أن أتوكل على الله وأن أقطف من كل بستان زهرة لعلي أقول في فقيدنا الجليل بعض ما يستحقه، وهو الذي يستحق الكثير، وضمن ما يسمح به المقام وهو ضيق جدًا.

لن أعود إلى تذكيركم بحياة الأستاذ الدكتور بديع الكسم فالكل يعرف أينَ ولد وفي أي بيئة عربية إسلامية أصيلة تربى وترعرع، وأين دَرَسَ، وأين درّس وأين عرّب، وكيف ناضل من أجل عروبته بقلمه ولسانه؟ ولكني أريد في هذا المجال أن أركِّز على نتاجه العلمي وتوجهاته العروبية وصفاته الخُلُقية.

بديع الكسم من الرعيل الثاني لرواد الفكر العربي وأساتذة الفلسفة العربية الحديثة من الأربعينيّات، مع زكي نجيب محمود، وتوفيق الطويل، ومحمد عبد الهادي أبو ريدة، ومحمود أمين العالم، وسامي الدروبي، وعبد الرحمن

بدوي، ومحمود قاسم، وعادل العوا، بعد الرعيل الأول مثل إبراهيم بيومي ومدكور عثمان أمين، ومحمد مصطفى حلمي، وأبي العلا عفيفي وعلي سامي العشار، ومحمد علي أبو ريدة، تلاميذ المؤسس الأول للفلسفة في الوطن العربي مصطفى عبد الرازق، تلميذ محمد عبده، تلميذ الأفغاني، إذ ارتبطت نشأة الفلسفة العربية الحديثة بالحركة الإصلاحية، إحدى مكونات عصر النهضة العربية، وهو الممهد لجيل الخمسينيات من أمثال محمد عزيز الحبابي، وشيخ بو عمران، ومحجوب بن ميلاد، وفؤاد زكريا، وزكريا إبراهيم، وحسن حنفي صاحب هذه المقولة وهو دون شك يعرف ما يقول.

وبديع الكسم ينتمي إلى جيل الحرب العالمية الثانية الذي عاصر الأحداث في الوطن العربي قبل الحرب وبعدها، فرح غاية الفرح للسعيد منها، كالوحدة السورية المصرية، واستقلال الجزائر، وحرب تشرين عام ١٩٧٣، وتمزق من داخله أي تمزق للنكسات التي أصابت أمته، كهزيمه عام ١٩٤٨ ونكسة ١٩٦٧ وتشتت العرب، تمزقهم فيما سبق وتلا حربي الخليج الأولى والثانية، إلى أن اختاره الله إلى جواره في الخامس من تشرين الأول من عام ٢٠٠٠. وكانت أمتنا العربية تدخل عصر الانحطاط الذي نعيشه اليوم.

صورته في الوطن العربي أنه هو هذا المفكر المتعمق، المتأمل، القليل الكتابة والعميقها، الهادف إلى النوع لا إلى الكم(١)، تَوَحَّد اسمه مع فكرة «البرهان في الميتافيزيقا» في نصه الفرنسي الأصلي، قبل أن يترجم إلى العربية

(١) محمد بديع الكسم (البرهان في الفلسفة)، ترجمة جورج صدقني، دراسات فكرية (٨) منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٩١.

وقبل أن تصدر مقالاته الأخرى التي تم تجميع بعضها[١]. وعلى الرغم من المراجع الغربية لرسالة الدكتوراة في الغالب، إلا أن أفكارها ومباحثها إسلامية أصيلة وقديمة. فقد بحث أبو حامد الغزالي عن اليقين قبل ديكارت. وعَرَّف ابنُ رشد الفلسفةَ بأنها: «النظر في الموجودات بحَسَب ما تقتضيه طبيعة البرهان»، وفَرَّق بين أقاويل ثلاثة: الخِطابي والجدلي والبُرهاني. وفي المنطق الأصولي «ما لا دليل عليه يجب نفيه». وفي نظرية العلم في أصول الدين، كما عرض «الإيجي» في المواقف، أن كل الحجج النقلية حتى لو تضافرت لإثبات شيء أنه صحيح ما أثبتته، ولظل ظنيًا ولا يتحول إلى يقين إلا بحجة عقلية ولو واحدة. والبرهان لفظ قرآني: ﴿قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إنْ كُنْتُمْ صادِقِين﴾. والبرهان إما من الله وإما من الإنسان، وإما في الموضوع ذاته. فهو رؤية حدسية أو استدلال عقلي أو وضوح موضوعي.

كان بديع الكسم رحمه الله يعبر عن جوهر حضارتنا العربية وحاجتنا المعاصرة إلى البرهان بعد أن اتهمنا بأننا حضارة الإنشاء لا الخبر، الشعر لا العلم، الخطابة لا البرهان.

كان الفقيد يبحث عن الإنسان العربي الجديد على طريق عقلانية الغرب التي أصبحت مشاعًا بين الجميع في القرون الأخيرة، على الرغم من غرابة مادة المنطق والميتافيزيقا عن الوجدان العربي الحديث.

والمنطق هو أعلى العلوم الفلسفية طلبًا للبرهان، أحبه الفقيد مع أنه لم

---

(١) (بديع الكسم) إعداد وتقديم عزت السيد أحمد، دراسات فلسفية وفكرية ١٤، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق ١٩٩٤.

يؤلف فيه لأنه آلة، أما الميتافيزيقا فهي الموضوع، والدين ميتافيزيقا، عودًا إلى تراثنا القديم، وليس شعائر ولا طقوسًا ولا مؤسسات ولا عقائد. الله موجود قضية ميتافيزيقية، وحكم منطقي، فلا توجد قضية إلا ولها برهان، ولا توجد حقيقة إلا ويصدر عليها حكم، وهذا يضاد النزعة الغنوصية التي تؤمن بالعرفان والذوق والحدس المباشر والرؤية العينية بلا برهان، والنزعة الشكلية اللاإرادية بتياراتها كافة، سواء التي تنكر وجود حقيقة أيًا كانت، أو التي تثبت وجودها وتنكر أهمية البرهان عليها، أو التي تثبت وجودها وإمكان البرهنة عليها ولكن دون يقين.

لذلك قسم الدكتور الكسم فكرة «البرهان في الفلسفة» إلى سبعة فصول: في الأول بحث التوكيد والحقيقة، من أجل بيان أنه لا توجد حقيقة إلا ولها برهان يثبتها، وفي الثاني ناقش الحقيقة والبرهان من أجل شرح معنى البرهان وتوكيده في المعارف العلمية العامة والفلسفية والدينية والإيمانية، وفي الفصل الثاني طرح تعريف الفلسفة وهو سؤال «هيدجر» ما الميتافيزيقا، وفي الفصلين الرابع والخامس عرض نظرية البرهان وتحققاتها في التاريخ؛ وفي الفصل السادس أقام التمييز بين نظريتين في البرهان والاتساق سواء أكان اتساقًا صوريًا، المقدمات مع النتائج والعقل مع نفسه، أم التطابق العادي، العقل مع الواقع؛ وفي الفصل السابع عرض نظرية الحدس أو الوضوح أو الكشف عندما تتضمن الحقيقة برهانًا في ذاتها، لا فرق بين الذات والموضوع. وغالبًا ما ينكشف ذلك من الشعور القصدي كما هي الحال في الظاهريات المعاصرة عند «هوسرل» و«شيلر» والحدس عند «برجسون» وعند أبي حيان التوحيدي

وفلاسفة الإشراق القديم[١].

يكشف الكتاب عن «قدرة الكسم العالية على التنظير وإعمال العقل الخالص في أكثر الموضوعات تجريدًا، وهو البرهان، وأكثر العلوم صورية، وهو المنطق وما تتطلبه الميتافيزيقا من إحساس مرهف.

يجمع الكسم بين توما الأكويني وتجريده، وأوغسطين وتجاربه، وباسكال، وعقلانية ديكارت وبلغة السهروردي هو الحكيم المتأله المتوغل في التأله الموغل في البحث»[٢].

ومن ثم «يؤسس العقلانية العربية الحديثة دون الوقوع في وجدانيات «الجوانية» لعثمان أمين، ولا في الوجوديات التومائيّة ليوسف كرم، ولا في التجارب الوجودية عند عبد الرحمن بدوي الأول عند نيتشه وهيدجر أو زكريا إبراهيم عند «ياسبرز» و«مارسل».

وتجاوز الدكتور الكسم النزعة الإرادية في تحليل الأفكار والنظريات، إلى تعليل عقلي صاف مازال جيل فلاسفتنا يحاول العودة إليه، بعدما عصفت به الأحداث وهزته الهزائم والنكسات وأصبح محاصرًا بين شيخوخة القديم وانفعال المعاصر، بين العقل اليوناني القديم أو الديكارتي الحديث، وبين انتفاضة

---

(١) انظر حسن حنفي حفل تأبين الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٧٦ ج٣/٢٠٠١.

(٢) المرجع ذاته.

الأقصى وصراخ الشعوب المستعمرة[١] وخاصة في فلسطين.

يضيف الدكتور حنفي وهو الفيلسوف العربي الذي يمثل الجيل التالي لجيل فقيدنا، أن بديع الكسم «يقرأ باتساع ويدل على ذلك الكم الهائل من المراجع في آخر الكتاب. إن الكسم «يقرأ ولا يرفض، يحاور ولا يستبعد، يتمثل ولا ينقض ولا يصدر أحكامًا على الآخرين. وهذا واضح من أعلام فكرة البرهان في الميتافيزيقا الذين يناقش أفكارهم أو يوردهم مراجع لبحثه المعمق.

وفي هذا الأفق الواسع من الوافد الغربي القديم والحديث لم ينس الأستاذ الكسم الموروث. إنه ينتمي إلى حضارة عربية إسلامية. فذكر ابن رشد، وهو الفيلسوف العقلاني البرهاني، والرسول باعتباره نموذج الحكيم الذي يقوم بتحليل تجارب البشر، وابن سينا واضع الميتافيزيقا في صيغتها الشاملة، والغزالي في النفس، والمعري وإقبال في الله، نموذجًا للحقيقة الشاملة. ويذكر الفارابي الفيلسوف المنطقي القديم، وابن تيمية في تحليله للمنطق الصوري، ومحمد عبده العقلاني الإصلاحي. ومن المحدثين نجيب بلدي الذي جمع عقلانية ديكارت وحياة برجسون، وقنواتي نموذج التومائي الحديث، ومن الأنبياء يذكر المسيح ومحمد عليهما السلام، وأصحاب الدين الطبيعي.

طبعت رسالة فقيدنا الكسم بالفرنسية مرتين. الأولى في جنيف والثانية في فرنسة، إذ تولت دار المطابع الجامعية P.U.F، التي دأبت على نشر كتب كبار فلاسفة العصر، نشرها وتكريس سموها في كتب فلاسفة هذا العصر. وفي

---

(١) انظر حسن حنفي «حفل تأبين الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٧٦ ج٣، ٢٠٠١.

عام ١٩٩١ نهض الزميل المجمعي الكريم الأستاذ جورج صدقني بترجمتها إلى اللغة العربية المبينة بعنوان «البرهان في الفلسفة» وقد صدرت هذه الطبعة عن وزارة الثقافة عام ١٩٩١ لتسد فراغًا كبيرًا في مجال الفكر الفلسفي العربي المعاصر.

وليسمح لي الأستاذ صدقني أن أقتبس منه ما أورده في مقدمة ترجمته لرسالة الدكتور الكسم من فقرات استلها من رسالته، تعبر عن الاتجاه الإنساني والروحي الأصيل في فكر الكسم:

تقول الفقرة الأولى:

«الحب وحده هو الذي يستطيع أن يهزم الموت. ومن هنا كان الشعور بتجاوز الزمن في كل فعل يهب الإنسان فيه ذاته أو يضحي فيه بنفسه. عند ذلك تتم المشاركة بالمطلق، لا عن طريق عملية تجريدية وإنما عن طريق التحقق المشخص، أي عن طريق نمط من الوجود».

وتقول الفقرة الثانية:

«إن مفهومًا عن العالم والإنسان ينتهي بالضرورة إلى الانتحار أو الجنون لا يمكن أن يكون صادقًا، ذلك أنه يهدم في نهاية الأمر إمكانية الصدق نفسها. إن الثقة بالعقل تتضمن الثقة بالوجود. وما التمرد على العبث إلا تعبير عن المعنى في جذور الجوهر الإنساني»[(١)].

لا عجب، والحالة هذه، أن تنال أفكار فقيدنا الأستاذ الكسم إعجاب

---

(١) محمد بديع الكسم، البرهان في الفلسفة، ترجمة جورج صدقني، دراسات فكرية (٨) منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٩١.

فلاسفة زمانه.

فجان ايكول Jean Ecole يقول في مجلة الدراسات الفلسفية العدد الأول سنة ١٩٩٠ مبينًا أهمية وصعوبة الموضوع الذي طرقه الأستاذ الكسم، إنه «لم يتصد لموضوع سهل. لهذا لا نستطيع إلا أن نثني على الشجاعة التي أظهرها وعلى الطريقة الواضحة التي عالج فيها هذا الموضوع».

أما بورغلان Burgelin فيقول في رسالة الكسم: هذا الكتاب إسهام جيد في الجهد الذي بذله الوضعيون والمناطقة والمؤرخون لفهم المهمة الفلسفية.

ويؤكد ليفراز Leyvraz أن هذا الكتاب ربما وجب على كل مهتم بالفلسفة أن يقرأه. أما بوجنسكي Bockenski فيذهب أبعد من ذلك حين يقول «**الآن نستطيع القول إن العرب قد عادوا بعد غياب طويل إلى الإسهام في العمل الفلسفي، ومن ثم إلى القيام بدورهم في بناء الحضارة الإنسانية**».

إلى جانب رسالته الخالدة وضع راحلنا الكبير خمس عشرة مقالة ومحاضرة له أشار إليها الأستاذ صدقني في تقدمة ترجمته العربية للرسالة، في حين أورد الأستاذ عزت السيد أحمد في كتابه الموسوم «بديع الكسم» الصادر عن وزارة الثقافة عام ١٩٩٤ اثنتين وعشرين مقالة حبرها فقيدنا الكبير عبر السنوات منها «**لغة الفلسفة**» و«**الحقيقة الفلسفية**» و«**البحث عن الفلسفة**» و«**بيان أحكام الوجود**» و«**أحكام القيم**». وفي الفلسفة والاجتماع كتب «**النزعة الإنسانية**» ومن «**خصائص التفكير**» و«**الحرية أساسًا**» و«**حول أزمة الإنسان الحديث**» و«**حول الغاية والوسيلة**» وفي الهموم القومية

كتب الكسم «**دور الفلسفة في توحيد الفكر العربي**» و«**حول الثورة الثقافية والثقافة القومية والثقافة الإنسانية**» و«**الإنسانية الصحيحة في القومية الصحيحة**» و«**ازدواج الدلالة في الثقافة العربية**» وفي الفلاسفة كتب عن «**طاغور**» وعن «**الشرق والغرب في فلسفة رينيه جينون**» و«**الشعب وحرية الفرد في فلسفة هيجل**» و«**مفهوم الوطنية في فلسفة فيخته**». وترجم الدكتور الكسم ولخص وعرض مجموعة أخرى من أمهات الكتب مثل «**الخلق الفني: تأملات في تأليف بول فاليري**» الصادر عن دار طلاس عام ١٩٩٨ و«**التطور الخالق لهنري برغسون**» الصادر عن الدار ذاتها في العام نفسه. وللذين ينعون على راحلنا الكبير قلة إنتاجه المكتوب أو يجادلون في حجحه على إقلاله، نقول مع راحل كبير آخر هو الأستاذ الدكتور عادل العوا «كان بديع الكسم فيلسوفًا يحيا أفكاره والفيلسوف الذي يحيا أفكاره ويريد أن ينقل بصورة حية هذه الأفكار إلى أذهان معاصريه، ليس له إلا أن يحذو حذو معلم الفلسفة سقراط الذي لم يؤلف.. ولم يكتب وحتى لم يعلم تعليمًا.. وإنما كان إنسانًا يلقى الناس في كل مكان. يحادثهم في أي زمان ولذا غدا نموذج الفيلسوف الحي(١).

أما عن أسلوبه في التعبير فيقول الأستاذ الجليل أنطون مقدسي «إن الكسم جدلي بارع يتلاعب بالنظريات تلاعب عازف الكمان بآلته، ويكشف بسرعة خاطفة عن حدود فكر كبار الفلاسفة، ولا يخلو أحيانًا تحليله من

(١) عزت السيد أحمد، ذات المرجع ص ١١.

سخرية تظهر لا في الكلمات بل بينها[١].

اتسعت مساحات اهتمام راحلنا الكسم لتتجاوز الفلسفة إلى غيرها من العلوم، وفي هذا يذكر أستاذنا الدكتور شاكر الفحام:

«ويروعك في الأستاذ الكسم هذه المتابعة لأحدث ما يستجد على الساحة العلمية. ثم هذه السعة في دائرة المعرفة. فهو وإن جعل همه ووكده الفلسفة وعلومها المختلفة، يشارك في الآداب وعلوم اللسان والتاريخ وأمثالها المشاركة الجادة، وكأنه لا يريد أن يقصر تخصصه عن الإلمام بطرف من كل فن»[٢]، ويقول أستاذنا الفحام أيضًا «أخذ الكسم بزمام الكلام وعرض موضوعه عرض العارف الفطن، وقد بهرني حسن منطقه وتدفق عاطفته واسترساله في حديثه وراعني سعة معارفه... وتفتح فكره، وقوة حجته، وتعمقه وشدة عارضته في الجدل والإقناع»[٣].

لقد كان بديع الكسم «معلمًا» بما تعنيه هذه الكلمة في لغتنا العربية المباركة.

وكان رحمه الله إلى كل ذلك، إنسانًا متواضعًا، شعاره «كلما ازددت علمًا ازددت تواضعًا»، كان متزن التصرفات والأفعال رزينًا عميق التفكير، متوازنًا، وهو وإن اتسم على العموم بالهدوء والتحكم بانفعالاته إلى درجة

---

(١) ذات المرجع ص ٩.

(٢) ذات المرجع ص ١٠.

(٣) د. شاكر الفحام من كلمته في استقبال الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم في مجمع اللغة العربية.

شديدة، إلا أنه سرعان ما يحتد من الخطأ أو المغالطة، وسرعان ما تبدو عليه دلائل الاستياء؛ لكنه أيضًا سرعان ما يفرج عن قلب مجالسه بتعليق طريف ينم على بديهة حاضرة وقريحة بارعة توحي للمرء بغلطه، في الوقت الذي ينتزع الضحكة من فيه دون أن يجرح أو يخدش أحاسيسه.

وفي ذكر صفات فقيدنا الكسم قال فقيدنا الآخر الدكتور عادل العوا في رثاء صديق عمره «إنني أحفظ عن خلقك ومزاجك أنك – بكل صدق ودقة – الأفضل فضيلة، والأكرم سجية، والأتقى طبعًا وشيمًا، وإني لأشهد شهادة يقين متين تمتد من أربعينيات القرن العشرين حتى مستهل هذا القرن الجديد أني ما سمعتك تذكر كلمة نابية ولا نعتًا شائنًا مذلاً توجهه إلى أحد أو تصم به أحدًا، غائبًا كان أو حاضرًا، وأنت ترى الناس والأحداث، وتدرك السطور وما بين السطور، وفي مضمونها ما يثير ويغيظ حتى اليأس والقنوط»[١].

كان فقيدنا، إضافة لغزارة علمه، سلس اللغة حلوها، أنيق الأسلوب، رائع العرض في كل ما قدمه. ولعل تأنقه الزائد كان من أسباب إقلاله في الكتابة. أما علمه الغزير فما بخل به على طلابه سواء في جامعة دمشق أو في الجامعات الجزائرية، حيث تولى إلى جانب التدريس مهمة التعريب بين عامي ١٩٦٨ و١٩٧٢ في وقت اشتد فيه أوار معركة التعريب في بلد المليون شهيد.

ويضيف راحلنا العوا « ولم يكن ليدور في خلدي ألا تظل جامع شمل

---

(١) عادل العوا في حفل تأبين الدكتور محمد بديع الكسم، مطبوعات مجمع اللغة العربية فصلة المجمع من المجلد ٧٦ ج٣.

أحبابك وأصدقائك وأهلك وطلابك، يضمهم أنسك وبشرك، ويجتذبهم صفاؤك ومثاليتك، وتبهرهم ملاحظتك وتدقيقاتك..».

كان أستاذنا العوا يشير إلى ندوة الجمعة، التي كان الأستاذ الكسم يقيمها في منزله صباح كل جمعة منذ الخمسينيات، بين العاشرة والثانية عشرة لتبادل الأفكار والمشاعر في شتى الموضوعات الفلسفية والقومية والإنسانية والشخصية. وقد استمرت ندوة الجمعة عند فقيدنا الراحل حتى آخر يوم في حياته وكان – ويا للمصادفة العجيبة – يوم جمعة قبل أن يحمل إلى المستشفى.

أخيرًا وليس آخرًا كان بديع الكسم زوجًا رائعًا لزوجة رائعة، رافقته من بدايات عمره العلمي إلى نهاية حياته، صابرة مجاهدة وقامت في حياته بدور الزوجة والصديقة والمشجعة، فبادلها حبًا بحب، ووفاء بوفاء، وكان أبًا رؤوفًا رحيمًا. وهذا ابنه نزار يقول في رثائه: «حملت همومي أكثر من ٥٠ عامًا دون توقف فما من مرة أحسست فيها بضيق إلا حملتَ هذا الضيق أضعاف ما حملتُه أنا. لقد أحببتني أكثر مما أحببت نفسي بكثير بكثير بكثير فما هذه القدرة على الحب والعطاء التي كنت تتمتع بها يا أبي؟».

لقد رأى مجلس مجمع اللغة العربية في الأستاذ الدكتور بديع إنسانًا متميزًا بمعارفه الواسعة وآفاقه اللامحدودة، فانتخبه بالإجماع عضوًا عاملاً في المجمع للكرسي الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور عبد الكريم زهور عدي. وصدر بذلك المرسوم ذو الرقم ٤٩٥ في ٢٧/ ١٢/ ١٩٨٨.

واحتفل المجمع باستقباله في جلسة علنية عقدها في ١٧/ ١٠/ ١٩٩٠ حضرها نخبة طيبة من رجال العلم والثقافة والأدب. وقد أمضى الأستاذ

الكسم عشر سنوات عضوًا في المجمع كانت ثرية بالعمل والعطاء.

كان يشارك في جلسات المجلس، وجلسات لجنة المصطلحات، ولجنة المجلة، وكان دائب النشاط يلبي ما يطلب منه، ويقدم المقترحات المعينة على تحريك العمل وتعجيله وتقويمه، إلى أن وافاه الأجل المحتوم في الخامس من تشرين الأول عام ٢٠٠٠.

وبعد ففي جنات الخلد يا أستاذنا، تركت دار الشقاء لدار البقاء، لكن أثرك لم ينقطع، ولن ينقطع! ألا يكفي أنك تركت علمًا ينتفع به، وولدًا صالحًا يدعو لك؟

إنك فعلاً الغائب الذي لا يغيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.